لِذَلِكَ هو غَبْي

خواطر

توفيق عياد الشفروني



الكتاب: لذلك هو غبي
الكاتب: توفيق عيّاد الشقروني
الناشر:الجمعية الليبية للدراسات الأمازيغية
السنة 2025م
سلسلة الخواطر- (1)
التصميم والإخراج: الناشر

ومضة

بَيْن لَفظ وَأخَّر ، تقع اَلكثِير مِن الأغْلاط فِي الفهْم ، ودلالات الألْفاظ، لَا تَعكِس دوْمًا ، ذات المعاني لَدى اَلجمِيع وَمِن هُنَا بِإمْكانك أنَّ تَفهُّم مَا تُريد فعقْلك أو قَلبِك مَن يجرُّونك إِلى مَعْنى دُون آخر الكاتب يَكتُب اللَّفْظ فِي السِّيَاق اَلذِي يُريده وَلكِن الألْفاظ تَكُون تَحررَت مِن سُلطَة الكاتب فَتصبِح حُرَّة طَلِيقَة لِلْقارِّئ يُشَكلهَا كيْفمَا يَشَاء عدَا اَلنَّص اَلمُقدس لَا يَعلَم تأْويله إِلَّا اَللَّه.

لَا أحد يَملِك سُلطَة اللَّفْظ ، فالْكاتب أو القارئ يمْلكَان حقُّ التَّداول فقط وهذا التداول يجب ان يسير في سياق قصدية لمؤلف، حتى لا تصير عملية الفهم عشوائية، لا نهائية.

شَهْرَزَادُ

يَا مَنْ حِكَايَاتُهَا لَا تَنْتَهِي
تُؤَاخِذُنِي إِنْ نَأَىٰ سَمْعِي
عَنْ سِحْرِ قِصَصِهَا الْمُتَدَفِّقِ كَالنَّهْرِ.
وَيُثْقِلُ صَدْرَهَا صَمْتِي
تَشْكُو جَفَافًا فِي غَيْرَتِي
تَسْتَنْطِقُ سُكُوتِي الْعَمِيقَ
وَشُرُودَ فِكْرِي الْهَائِمِ
يَتَرَاخَىٰ صَدَىٰ صَوْتِي
وَيَتَأَخَّرُ نَبْضُ الْجَوَابِ
تَمْحُو حُرُوفًا كَتَبَتْهَا
لِتَرْسُمَ أُخْرَى بِشَغَفٍ.
يَخِيمُ الْبَيَاضُ دُونَ كَلِمَةٍ تُذْكَرُ.
يَحْمِلُهَا الْغَضَبُ فَتَغِيبُ
يَعُودُ بِهَا الْغَضَبُ عَيْنُهُ.
تُشْعِلُ نِيرَانَ غَيْرَتِهَا
فِي جَوْعِهَا كَمَا فِي شِبَعِهَا
تَنْهَمِرُ دُمُوعُهَا فَرَحًا
كَمَا تَنْهَمِرُ غَيْرَةً وَلَهِيبًا.

أَعْتَرِفُ
بِي لَوْعَةٌ خَفِيَّةٌ مِنْ غَيْرَةٍ عَلَيْهَا.
أَشَدُّ وَأَعْمَقُ
مِنْ ذَاكَ السِّلْسَالِ الْمِكْسِيكِيِّ
ذِي الْأَلْفِ فَصْلٍ
كَدَهْرٍ مِنَ الْمَلَلِ الْمُسْتَدِيمِ.
حَيْثُ تَسْبَحُ هِيَ فِي بَحْرِ عِشْقِ «أَلِخَانْدْرُو»
حَظِّي الْعَاثِرُ مِنْهَا
صَمْتٌ كَاللَّيْلِ يَمْتَدُّ وَيَطُولُ.
يُبَاغِتَنِي الْفَجْرُ بِخُيُوطِهِ الْأُولَى.
لُغَةَ الْقُلُوبِ وَهَمْسَ الْكَلَامِ.
وَنَسْتَعِيدَ مَعًا لَهْفَةَ الْوَجْدِ
وَنَشْوَةَ الِاشْتِيَاقِ

****

سُطِّرَتْ لَهَا خَمْسُونَ قَصِيدَةً

خَمْسُونَ قَصِيدَةً
نُسِجَتْ لِأَجْلِ عَيْنَيْهَا
بِخَمْسِينَ أَلْفَ نِدَاءٍ
صَدَحَ فُؤَادِي
مُعْلِنًا عَنْ حُبِّي لَهَا
كُتِبَ بِالْأَحْمَرِ الصَّارِخِ
عَلَى جَبِينِ اسْمِهَا
جَعَلْتُه عُنْوَانًا لِدِيوَانِ كلماتي
رَجَاءَ أَنْ يَحْظَى قَلْبِي بِرِضَاهَا.
لَكِنَّهَا...
لَمْ تُعِرْهُ أَدْنَى الْتِفَاتٍ.
وَظَلَلْتُ أَنْتَظِرُ... وَأَنْتَظِرُ...
وَأَنْتَظِرتُ طَوِيلًا
وَأَدْرَكْتُ أَنَّهَا...
لَنْ تَرْضَى أَبَدًا.
الْيَوْمَ بَثَّتْ لِرَفِيقَاتِهَا نَبَأً
حَدِيثًا عَنْ أَحْمَقَ ادَّعَتْ أَنَّهَا أَحَبَّتْهُ
أَحْمَقَ لَا يَعِي كُنْهَ مَشَاعِرِهَا

أَحْمَقَ لَمْ يَهَبْهَا قَطْرَةَ حُبٍّ
فَوَلَّيْتُ مُنْكَسِرًا
أَلُمُّ شَتَاتَ رُوحِي الْمُبَعْثَرِة
مِنْ رُكَامِ الْإِهْمَالِ
مَهْجُورِ الذِّكْرَيَاتِ
وَاسْتَيْقَنَ الْقَلْبُ
عُقْمِ الْكَلِمَاتِ وَهَوَانِهَا
عِبَارَاتِ الْعِشْقِ
صَارَتْ هَبَاءً.
مَحَوْتُ بِأَلَمٍ
الْعُنْوَانَ الْحَالِمَ
وَخَطَطْتُ اسْمًا جَدِيدًا لحروفي
نعم هُوَ أَحْمَقُ
فَفِي مَذْهَبِ الْهَوَىٰ
كُلُّ بَنَاتِ حَوَّاءَ فِي الْغَرَامِ سَوَاءٌ

****

غَابَتْ فِي الصَّبَاحِ

قَلِقْتُ عَلَيْهَا
عَادَتْ وَاعْتَذَرَتْ
قَبِلْتُ عُذْرَهَا

فِي الْمَسَاءِ أَيْضًا غَابَتْ
فِي انْتِظَارِ عَوْدَتِهَا
وَأَسْمَعُ عُذْرَهَا مِنْ جَدِيدٍ أَعْتَرِفُ لَكَ
لَا أَحَدَ خَطَّ الْكَلِمَاتِ مِثْلَكِ
وَلَا أَحَدَ اسْتَخْرَجَ الْمَكْنُونَاتِ مِثْلَكِ
أَنْتِ عِنْدَمَا تُمْسِكِينَ الْقَلَمَ
يَنْهَمِرُ حِبْرُهُ مِدَادًا كَالنَّهْرِ
وَتَتَجَمَّعُ كُلُّ الْحُرُوفِ
لِتُشَكِّلَ قَصِيدَةَ الْوُجُودِ
وَتَزْرَعِينَ الْحَيَاةَ فِي تُرَابِ الْوَجْدِ
لِيَنْبُتَ زَهْرُ الْبَدْءِ
نَقْرَأُ الْقَصِيدَةَ مَعًا

وَكُلَّمَا عَطِشَتِ الرُّوحُ

نُعَاوِدُ الْقُبَلَ الْعُذْبَ
تَتَلَعْثَمُ الْكَلِمَاتُ أَمَامَ غَيْرَتِهَا
تَسْقُطُ الْحُرُوفُ فِي دَمْعِ حُزْنِهَا
يَسْكُتُ قَلَمِي وَيَنْعَقِدُ لِسَانِي

بِاللَّهِ أَخْبِرُوهَا
أَنَّ الطَّيْرَ يُغَنِّي لِلْحَيَاةِ
يَعْزِفُ لِلزُّهُورِ
يَشْتَهِي كُلَّ الْوُرُودِ
يَرْتَشِفُ كُلَّ رَحِيقٍ
وَلَكِنَّهُ أَبَدًا
لِعُشِّ الْوَلِيفِ يَعُودُ

****

حِوَارٌ مَعَ الْحُبِّ

قَالَ لَهَا:
بَنَيْتُ لَكِ هَذَا الْقَصْرَ
أُنْظُرِي صُورَتَهُ
قَالَتْ:
يَا لَهَا مِنْ كَذِبَةٍ كَبِيرَةٍ
هَذَا تَاجُ مَحَلٍّ فِي الْهِنْدِ الْبَعِيدَةِ
رَدَّ قَائِلًا:
نَعَمْ حَبِيبَتِي كَلَامُكِ صَحِيحٌ
فَهَذِهِ كَذِبَاتُكِ الصَّغِيرَةُ رَاكَمْتُهَا لَكِ
صَارَتْ تَاجَ مَحَلِّكِ مِنْ قَلْبِي
قَالَتْ:
يَا لَكَ مِنْ شِرِّيرٍ
قَالَ:
وَيَا لَكِ مِنْ كَاذِبَةٍ

****

الْمُغَادَرَةُ غَدْرٌ

سَكَنَ اللَّيْلُ
حَلَّ الظَّلَامُ
كُلُّ الرِّحْلَاتِ أُلْغِيَتْ
وَغَادَرَتْ هِيَ
بَقِيتُ أَنْتَظِرُ
أَنَّهَا تَبْتَعِدُ
تَغِيبُ فِي الْأُفُقِ
سَكَتَ كُلُّ شَيْءٍ
السُّكُونُ مِنْ حَوْلِي
تُفْزِعُهُ دَقَّاتُ قَلْبٍ قَدِ احْتَرَقَ
الرَّاحِلُونَ لَا يَعُودُونَ
كَيْفَ يَطِيبُ لَهُمُ الْمَقَامُ فِي الْبُعْدِ؟
لِمَاذَا يَرْحَلُونَ؟
دَوْمًا يَرْحَلُونَ
وَيَرْحَلُ الْقَلْبُ مَعَهُمْ
وَنَظَلُّ جُثَّةً غَادَرَتْهَا الرُّوحُ
نَهِيمُ فِي أَزِقَّةِ النِّسْيَانِ
نُسَامِرُ قَمَرَ الْغِيَابِ

تَنْطَفِئُ شَمْعَةُ الْفَرَحِ
الْفَرَحُ يُغَادِرُ
الْفَرَحُ لَا يَعُودُ

****

قَهْوَتُنَا

أَشْرَبُ قَهْوَتِي بِمَزَاجِ مَنْ مَعِي
وَأَشْرَبُ قَهْوَةَ حَبِيبَتِي بِمَزَاجِي
وَأَنْتُمْ كَيْفَ تَشْرَبُونَهَا؟

****

أَفْسَمْتُ

لَا تَشْرَبُ الْقَهْوَةَ إِلَّا مَعِي
وَبَعْدَ قَلِيلٍ مِنَ الْوَقْتِ ذَهَبَتْ
تَصْنَعُ قَهْوَتَهَا
وَكَانَ قَسَمُهَا قَسَمَ عُرْقُوبٍ
كَتَبْتُ لَهَا قَصِيدَةً أُعَاتِبُهَا
فَعَاتَبَتْنِي
جَمَعَتْ حُرُوفَ اسْمِي وَقَالَتْ مَنْ هَذِهِ
وَلِمَا وَكَيْفَ وَلِمَاذَا
مَزَّقْتُ أَوْرَاقِي
وَلَزِمْتُ صَمْتِي
وَلْيَذْهَبِ الشِّعْرُ لِغَيَابَاتِ الْجُبِّ
لَسْتُ بِشَاعِرٍ وَلَنْ أَكُونَ
أَنَا مَجْنُونُهَا وَمَجُونُهَا
أَنَا الشَّوْقُ الَّذِي يُرَاقِصُ فِتْنَتَهَا
أَنَا مَنْ يَحْضُنُ الْحُسْنَ
فِي قَلْبٍ مَكْنُونٍ
وَأَمُدُّ أَيَادِيَ الْحَنَانِ لِعَطَشِ جَمَالِهَا الْمَشُوقِ
أَلْمِسُ كُلَّ دَلَالٍ فِيهَا حَتَّى يُزْهِرَ الرَّبِيعُ

وَلَا أَصْمُتُ حَتَّى أَسْقِيَهَا بِرَحِيقٍ مَخْتُومٍ
لَسْتُ بِشَاعِرٍ يَا سَيِّدَتِي
أَنَا فَقَطْ عَاشِقٌ مَفْتُونٌ
وَهِيَ فَقَطْ مُسَافِرَةٌ

****

تَرَكَتْنِي وَسَافَرَتْ

أُعْلِنُ صِيَامِي عَنِ الْكَلَامِ
فَلَا كَلَامَ وَقَدَمُهَا لَيْسَتْ عَلَى أَدِيمِ الْأَرْضِ
أَمْشِي عَلَى قَلْبِي بِصَمْتِ اللَّيْلِ
وَسُكُونِ الرُّوحِ
فَلَا بَوْحَ إِلَّا لَهَا وَمَعَهَا
وَلَكِنَّهَا الْيَوْمَ مُسَافِرَةٌ
فَلَا كَلَامَ يُقَالُ
وَلَا نُصُوصَ تُكْتَبُ
سَوْفَ أَسْمَعُ صَوْتَ الْعَصَافِيرِ
وَأُنْصِتُ لِحَفِيفِ الْمَطَرِ
وَأُتَابِعُ قَطَرَاتِ النَّدَى تَنْسَابُ مِنْ نَافِذَةِ الِانْتِظَارِ
هِيَ الْيَوْمَ مُسَافِرَةٌ
وَالصَّمْتُ فِي غِيَابِهَا أَبْلَغُ الْكَلَامِ

****

سَافَرَتْ وَلَمْ تَنْتَظِرْ

طَوَيْتُ رِسَالَتِي
سَقَطَتْ قَطْرَةٌ عَلَى الرِّسَالَةِ
لَا أَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ جَاءَتْ
لَعَلَّ سَقْفَ الْغُرْفَةِ مُمَزَّقٌ مِثْلِي
لَعَلَّ الْمَطَرَ يَهْطِلُ بُكَاءً مِثْلِي
مَسَحْتُهَا عَلَى عَجَلٍ
حَتَّى لَا تَظُنَّ أَنَّهَا مِنْ دَمْعِ عَيْنِي
وَصَلَ الْبَرِيدُ مُسْرِعًا إِلَيْهَا
لَمْ يَجِدْهَا
حَزَمَتْ حَقَائِبَهَا وَغَادَرَتْ
6 دَقَائِقَ بَيْنَنَا
وَلَكِنَّهَا لَمْ تَنْتَظِرْ
مُسْرِعَةً فِي مُغَادَرَتِهَا كَمَا فِي سَفَرِهَا
وَعَادَتْ إِلَيَّ رَسَائِلِي
لِأُمَزِّقَهَا فِي مَكَبِّ النِّسْيَانِ
فَلَا قَارِئَ مِنْ بَعْدِهَا
فَقَدْ سَافَرَتْ

****

مُنْذُ سَنَوَاتٍ

وَأَنَا أُطْفِئُ شُمُوعَ مِيلَادِهَا
أُوقِدُ شُعْلَةَ حُبِّنَا
أُهْدِي وَرْدَ عِشْقِنَا
أُقَبِّلُ جَبِينَ جَمَالِهَا
كَانَ هَذَا فِيمَا مَضَى

الْيَوْمَ تُسَافِرُ مَعَهُ
تَجْرِي عِنْدَ الْمَطَرِ مَعَهُ
تَرْتَادُ الْمَآكِلَ مَعَهُ
تَشْتَرِي هَدَايَاهَا مَعَهُ

أَمْشِي وَحِيدًا تَحْتَ مَطَرِ غِيَابِهَا
مَسَافَاتُ الْبُعْدِ تَزْدَادُ
كُنَّا رُوحًا وَاحِدَةً
الْيَوْمَ غَادَرَتْ لِوَحْدِهَا

عُدْتُ لِمِينَاءِ الْهِجْرَانِ
أَنْتَظِرُ سُفُنَ الضَّيَاعِ

الْغَيْرَةُ دَلِيلُ الْحُبِّ

قَالَتْ: الْغَيْرَةُ دَلِيلُ الْحُبِّ
دَعِينِي إِذَنْ أَغَارُ عَلَيْكِ بِطَرِيقَتِي
الْيَوْمَ أَنَا فِي قِمَّةِ غَيْرَتِي
وَأُعْلِنُ صَمْتِي
أَنْزَلْتُ رَايَةَ الْكَلَامِ
رَفَعْتُ رَايَةَ الصَّمْتِ
حُزْنًا
أُعْلِنْتُ حِدَادَ السَّفَرِ
كَيْفَ أُكَلِّمُكِ
وَأَنْتِ تَسِيرِينَ فِي شَوَارِعِ الْحُبِّ دُونِي
كَيْفَ أَتَكَلَّمُ
وَمَعَهُ تَقْطِفِينَ وَرْدَ الِاشْتِيَاقِ
تَزُورِينَ كُلَّ الْمَخَابِئِ الَّتِي عَلَّمْتُكِ أَمْكِنَتَهَا
أَنْتِ مَعَ غَيْرِي
الْحَدِيثُ عَنْ ذَلِكَ خَنَاجِرُ تُمَزِّقُنِي
بَلْ خِيَانَةٌ
كَيْفَ يَكُونُ الْإِنْصَاتُ لَكِ وَأَنْتِ سَعِيدَةٌ مَعَهُ؟

قُلْتِ عَنْهُ:
«هُوَ مُتَفَرِّغٌ لَكِ وَأَنْتِ مُتَفَرِّغَةٌ لَهُ»
يَا لَهُولِ وَقْعِ كَلِمَاتِكِ عَنْهُ
دَعِينِي أَذْرِفْ دَمْعِي صَمْتًا
وَأَنَا فَرِحًا لِفَرَحِكِ
وَحَزِينًا لِرُوحِي

الْغَيْرَةُ لَيْسَتْ شِجَارًا أَفْتَعِلُهُ مَعَكِ
وَلَا كَلَامًا أُبَرِّرُ بِهِ بَرَاءَتِي
بَلْ سِهَامُكِ الَّتِي أَصَابَتْ قَلْبِي

صَدَقَتِ الْبَتُولُ مَرْيَمُ
حِينَ أَشَارَتْ إِلَيْهِ وَقَالَتْ:
«لَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا»
وَأَشَرْتُ لَهَا إِلَيْهِ

قَالَتْ: لَا وَقْتَ لَكَ عِنْدِي وَأَنَا مَعَهُ

وَسَقَطَ قَلْبِي مَغْشِيًّا عَلَيْهِ مِنَ الْعِشْقِ
مُضَرَّجًا بِحُبِّهِ عَلَى عَتَبَاتِ النِّسْيَانِ
آهِ يَا قَلْبُ

مَنْ يُلَمْلِمُ شَظَايَاكَ وَقَدْ رَحلَتْ؟

سَأَلَنِي: أَأَنْتُمَا فِي رُوحٍ أَمْ رُوحَيْنِ؟
قَالَتْ: نَحْنُ اثْنَيْنِ
وَكَانَتْ عَلَى عَجَلٍ

أَصْمُتْ أُسْكُتْ يَا قَلْبُ
لَا حَقَّ لَنَا فِي الْعِتَابِ
لِتَأْكُلَنَا الْغَيْرَةُ فِي هُدُوءٍ
وَلْنَدَعْهَا تَفْرَحْ فِي سَلَامٍ

****

فَامُوسٌ

كَانَتِ الدِّفْءَ
فَتَرَكَتْنِي لِبَرْدِ الْأَيَّامِ وَحْدِي
كَانَتِ الْحِضْنَ
فَتَرَكَتْنِي لِأَحْضَانِ الرِّيحِ

قَالَتْ: هِيَ أَيَّامٌ مَعْدُودَاتٌ
وَهَلْ فِي قَامُوسِ الْعِشْقِ غِيَابٌ؟
قَوِّلُوا لَهَا:
إِنَّ الْغِيَابَ فِي مَدِينَةِ الْحُبِّ ضَيَاعٌ
قَرِيبًا يَبْدَأُ الصَّمْتُ
قَرِيبًا أَغِيبُ
قَرِيبًا أَغْفُو
قَرِيبًا أَصِيرُ فِي النِّسْيَانِ
لَنْ أَخُونَ قَلْبِي بِالْحَدِيثِ مَعَهَا
وَهِيَ تَلْهُو
وَهِيَ تَلْعَبُ
مَعَهُ
وَلَنْ أَصْمُتَ

(((نَقُولُ: مَعَادِشْ بَنْمَشِي)))

شُكْرًا وَشُكْرًا ثُمَّ شُكْرًا
سَوْفَ تَقُولُ
هِيَ تُرِيدُ أَنْ تَقُولَ
وَلَكِنَّهَا لَمْ تَقُلْ
نَنْظُرُ
لَعَلَّهَا فِي مَرَّةٍ قَادِمَةٍ تَقُولُ
هَلْ نَنْتَظِرُ قَوْلَهَا يَا قَلْبُ؟
أَخَافُ أَنْ يَطُولَ بِنَا الْوَقْتُ
وَلَا نَكُونَ فِي الْبَالِ
دَعْنَا لَا نَعِيشُ يَا قَلْبُ فِي وَهْمِ الِانْتِظَارِ
نَحْنُ فِي قَوَائِمِ الِانْتِظَارِ يَا عَزِيزِي
هِيَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقُولَ
كُنْتُ أَعْلَمُ
وَلَكِنَّكَ يَا قَلْبُ
لَا تُحِبُّ تَصْدِيقِي

****

طَاوُوسٌ

أَغْرَقْتُهَا بِقَصَائِدِي مَدْحًا
وَكَلَامًا لَمْ يَقُلْهُ الْمُتَنَبِّي لِكَافُورٍ الْإِخْشِيدِيِّ
قَالَتْ: أَحْسَنْتَ
لَمْ تَهْتَمَّ لِأَخْذِ نُسْخَةٍ مُوَقَّعَةٍ مِنْ دِيوَانِي
غَادَرَتْ كَذِكْرِ طَاوُوسٍ نُفِخَ رِيشُهُ

****

رُدُودٌ

رُدُودٌ
لَا تَزَالُ تُبْهِرُنِي
رُدُودُ أَفْعَالِهَا
تَجْعَلُنِي أَسْكُتُ صَمْتًا
أَبْكِي كَمَدًا
عَيْنَاكَ
عُمْقُ بَحْرٍ لَمْ يَسْبُرْ غَوْرَهُ أَحَدٌ
تَسْحَبُنِي إِلَيْكَ أَمْوَاجُ حُلْمٍ وَيَقِينٍ
أَنْتَ الْحَقِيقَةُ
وَأَنَا السَّطْرُ الضَّائِعُ فِيكَ
عِتَابٌ وَانْتِظَارٌ

****

تَوَعَّدَتْ مَعَهَا أَنْ نَلْتَقِيَ اَلْخَمِيسُ

لِنَحْتَسِيَ قَهْوَةَ اَلصُّبْحِ مَعًا
لِنَسْرُد حِكَايَةَ اَلْأَمْسِ
لِتُخْبِرنِي عَنْ طَبْخِهَا
عَنْ اَلْوَرْدِ فِي حَدِيقَتِهَا
لِتَحْكِيَ لِي عَنْ صُوَيْحَبَاتِهَا
عَنْ دَرْدَشَاتِهَا بِكُلِّ أَلْوَانِ اَلْأَحَادِيثِ
لِنَمْشِيَ قَرَّبَ اَلْبَحْرُ نَشْكُو لَهُ هُمُومِنَا
لِنَصِلَ إِلَى عَرَبَةِ اَلشَّايِ
نَحْتَسِي شَايٌ مَعَ اَللَّوْزِ
وَتَصِلُ بَيِّنًا خُطُوَاتِنَا إِلَى اَلزِّحَامِ
وَمُعَاكَسَةِ اَلْمَارَّةِ بِنَظْرَتِنَا اَلنَّاقِدَةِ
وَتَصِلُ بَيِّنًا اَلطَّرِيقَ إِلَى قَوْسِ اَلنَّصْرِ اَلرُّومَانِيِّ
حَيْثُ عَبَقُ اَلتَّارِيخِ
وَنَمُرْ بِشَوَارِعِهَا تِلْكَ اَلْمَدِينَةِ
اَلْعَمِيقَةِ فِي جُذُورِهَا
نَشْتَمُّ زَهْرُ حُبِّنَا
وَنَتَنَفَّسُ مَعَ كُلِّ خُطْوَةِ عِشْقِ اَلْخَرِيفِ
وَعِنْدَمَا مَرَّ اَلْوَقْتُ سَرِيعًا

أَخْذَنَا طَرِيقَ اَلْعَوْدَةِ
حَيْثُ بَاتَتْ مَحَطَّةُ اَلْفِرَاقِ قَرِيبَةً جِدًّا
هُنَا وَقَفَتْ وَالْتَفَّتْ وَتَذَكَّرَتْ
هِيَ لَنْ تَأْتِيَ اَلْيَوْمَ
غَادَرَتْ إِلَى اَلْغَرْبِ
وَلَنْ تَعُودَ
كُنْتَ أَتَمَنَّى حُضُورُهَا
وَلَكِنَّ اَلْأُمْنِيَاتِ أَحْيَانًا كَثِيرَةً
تَبْقَى مُجَرَّدَ أُمْنِيَاتٍ
لَعَلَّهَا تَأْتِي فِي جَوْلَةٍ قَادِمَةٍ
لَعَلَّنَا لَمْ نَتَوَاعَد بَعْد

****

تَمِيمَةُ الْغِيَابِ

أُخَبِّئُ اسْمَكِ
تَمِيمَةً مِنْ نُورٍ
فِي صَدْرِي الْمُثْقَلِ مِنْ غِيَابِ

قَسَتِ الْأَيَّامُ
كَسَيَّافٍ أَعْمَى
يَضْرِبُ قَلْبِي

لَكِنَّ طَيْفَكِ
نَجْمَةٌ تَهْدِي سَفِينِي
فِي بَحْرِ اللَّيْلِ السَّرْمَدِيِّ

سَأَنْتَظِرُ
حَتَّى يَعُودُ اللَّحْنُ إِلَى النَّايِ
وَيُزْهِرُ الْيَاسَمِينُ فِي الشِّتَاءِ
وَحِينَ تَمْطُرُ السَّمَاءُ ذَهَبًا

****

ظِلُّ الْيَاسَمِينِ

رَائِحَةُ الْيَاسَمِينِ تَتْبَعُنِي
أَيْنَمَا أَذْهَبُ
فِي قَهْوَةِ الصَّبَاحِ
فِي زِحَامِ الْمَدِينَةِ
فِي أُغْنِيَةٍ قَدِيمَةٍ
يَاسَمِينَتِي أَنْتِ
تُذَكِّرُنِي أَنَّ الشَّمْسَ تُشْرِقُ
حَتَّى فِي أَكْثَرِ الْأَيَّامِ رَمَادِيَّةً
أَرَاكِ فِي انْعِكَاسِ الضَّوْءِ
عَلَى زُجَاجِ النَّوَافِذِ
فِي ابْتِسَامَةِ عَابِرٍ
فِي خَرْبَشَاتِ الْأَطْفَالِ عَلَى الْجُدْرَانِ
وُجُودُكِ لَيْسَ حَقِيقَةً مُعْلَنَةً
بَلْ رَمْزٌ
وَشِفْرَةٌ
لَا يَفُكُّ لُغْزَهَا إِلَّا قَلْبِي
أَنْتِ هُنَا
فِي كُلِّ شَيْءٍ

وَلَا أَحَدٌ يَعْلَمُ
سِوَايَ أَنَا
وَالْيَاسَمِينُ

****

فِي مِحْرَابِ السَّهَرِ

وَأَغْمَضَتْ عَيْنَيْهَا عَنْ رُؤْيَتِي
رَغْمَ تَحِيَّاتِ الْقُبَلِ
وَعِطْرُهَا يَسْبِقُهَا
سَاقَتْ فِي الدَّلَالِ وَتَمَنَّعَتْ
وَأَغْمَضَتْ عَيْنَ الرِّضَا

فَمَنْ يُؤْنِسُ عُيُونَ السَّهَرِ
وَيَرْحَمُ نَاسِكًا
فِي مِحْرَابِهِمَا قَدْ تَعَبَّدَا
جَلَسَ يُكْمِلُ صَلَاةَ عِشْقِهَا
لَعَلَّهُ يَنَالُ جِنَانَ الرِّضَا

وَتَحْضُنُهُ آهَاتُ الشَّوْقِ
وَلَهْفَةُ اللِّقَاءِ
وَيَسْكُنُ عَرْشَ دِفْئِهَا
وَيَسْعَدُ
وَتَضِيءُ الدُّنْيَا بِنُورِ الْوِصَالِ

لعلّي ألقاكَ

لَعلِّي ألقاكَ
لَعلِّي أقابلُكَ
لَعلِّي أحضُرُ
لَعلِّي أستَمِعُ إليكَ قَليلاً
وأغادِرُ

هي لا تحِبُّ الزِّحامَ
لا تحِبُّ مُخالَطَةَ الغُرَباءِ

"لَعلَّ" حَرفُ نَصبٍ وتَرَجِّي
ولعلَّها حَرفُ جَرٍّ
يَجُرُّ الأُمنياتِ جَرّا
وأيضًا لعلَّها تُفيدُ اللامُبالاةِ
تَظَلُّ الأماني مُعَلَّقَةً في "لعل"
لعلِّي أنتَظِرُكِ
وأيضًا تُفيدُ في خَيباتِ الأماني
لعلك لا تأتين
لعلَّ الحياةَ تُفاجِئُني

بأشياءٍ لَم أتَوَقَّعها
لعلَّ القَدَرَ يَجمَعُنا
في لَحظَةٍ غَيرِ لَعل

****

سَلَامٌ

لَا وَاللَّهِ لِنَفْسِي قَدْرًا أَصُونُهُ
وَلَا الحُبُّ أَسْمَى مِنْ حَيَاتِي فِدَاهُ
فَصَوْنُ النَّفْسِ أَوْلَى كُلَّ آنٍ
وَذُلُّ النَّفْسِ فِي الهَوَى لَيْسَ مُنَاهُ

كَرِيمَةٌ عَزِيزَةٌ لَا أَرْتَضِي لَهَا هَوَانَا
إِذَا الفَقْرُ أَبْدَى لِي وُجُوهًا كَوَالِحَا
فَلَنْ أَهُونَ حَتَّى يَذِلَّ العَبِيدُ
كُنْتُ أَحْسَبُكُمْ سَتَكُونُونَ مَعِي
كِسْرَةَ خُبْزٍ وَجُرْعَةَ مَاءٍ
فَيَا مَرَارَةَ الرَّجَاءِ

لَكُمْ عِنْدِي يَدٌ لَنْ أُنْكِرَهَا
سَقَيْتُهَا وِدَادًا لَيْسَ بِفَانِ
وَلَكِنْ عِزَّتِي سَيْفِي وَسِنَانِي
وَلِي عِزَّةٌ طَوَتْ أَيَادِيَّ اكْتِفَاءً

وَلَسْتُ أَهَابُ الدَّهْرَ إِنْ جَارَ مَرَّةً

فَفِي عِزَّتِي حِصْنٌ مَنِيعٌ وَجَاهُ

سَلَامٌ عَلَى مَنْ زَانَ قَلْبِي وُدًّا
وَمَنْ هَانَ
فَالْعِزَّةُ لِي مَلَاذُ

****

فِي الْغِيَابِ لِقَاء

لَعَلَّ فِي الْغِيَابِ لِقَاءً مُؤَجَّلَا
أَو فِي صَمْتِ الْبُعْدِ دَرْبًا مُكَمَّلًا
يَبْدُو بِأَنَّا فِي حَنِينٍ لِلْبِدَايَاتِ
لِهَمْسَةِ يَوْمٍ الْتَقَيْنَا

عَلَى مَائِدَةِ اللَّهْوِ خِلْسَةَ نَظَرَاتِ
تَرَاقَصَتْ بَيْنَنَا شَرَارَةُ الْأَحْلَامِ
يَوْمًا كُنْتِ تُنْفِقِينَ مِنَ الْوَصْلِ بِسَخَاءٍ
وَكُنْتُ أَسْعَى جَاهِدًا لِنَيْلِ الرِّضَا
أَرْتَوِي نَبْعَ عَيْنَيْكِ هَلْ مِنْ مَزِيد

تَقْرَئِينَ كَلِمَاتِي بِشَغَف
تُفَتِّشِينَ عَنْ خَبَايَا الرُّوحِ تَغُوصِينَ
تَسْأَلِينَ عَنْ كُلِّ حِكَايَاتِي
عَنْ طُفُولَةٍ تَائِهَةٍ عَنْ حُلْمٍ سَجِين
كُنْتُ مَخْدُوعًا بِوَهْمِ الِاهْتِمَامِ
وَهَدَايَاكِ تُسْكِرُنِي فِي دَهَالِيزِ الْحُبِّ الْمُعْلَنِ بَيْنَ الشِّفَاهِ

فِي وَهْمٍ كَحُلْمِ لَيْلِ صَيْفٍ حَزِين

ثُمَّ انْقَلَبَ الْحُبُّ غِيرَة
رُفِعَتْ رَايَاتُ الشَّكِّ
وَرَحَاهَا تَاءُ التَّأْنِيثِ وَمَعَارِكُهَا عَبَث
تَاهَتْ كَلِمَاتِي فِي الْهَوَاءِ
كَطَائِرٍ جَرِيحٍ يَبْحَثُ عَنْ وَطَن
صَارَ الْحُبُّ بَالُونَ هَلْيُومٍ مَشْدُودًا بِحَبْلِ الشَّكِّ
يُرَاقِصُهُ الْخَوْفُ وَيَقْتَاتُهُ الْوَهْم
وَصِرْتُ مُجَرَّدَ مُسَلٍّ
لِسَمَاعِ قِصَصِ الْأُمَّهَاتِ
وَعِتَابٍ وَرَاءَ عِتَاب
وَكَذِبِ الْأُمْنِيَات

أَعْتَرِفُ أَنِّي نَسِيتُ رُوحِي
وَصِرْتُ أَتَّبِعُ شَهَوَاتِي
لَكِنَّ رُوحِي صَقْرٌ بِجَنَاحَيْنِ يَعْلُو فَوْقَ السَّمَاوَات
يُحَلِّقُ نَحْوَ النُّورِ نَحْوَ ذَاتِي
وَمَا سُكُوتِي عَنْكِ إِلَّا عَفْوُ الْكِرَام
فَلَا وَرَبِّكَ يَا بِنْتَ حَوَّاء
لَسْتُ أَنَا مَنْ يَخُونُ الْأَمَانَات

وَلَا أَنَا مَنْ يَسْكُتُ عَنْ ضَيْمِ الْإِنَاث

عَرْشُكِ لَكِ وَمُلْكِي لِي
وَلَا بَأْسَ عِنْدِي أَنْ نَكُونَ جِيرَانَ دَار
نَحْفَظُ الْوُدَّ وَنَرْعَى الْأَسْرَار

****

أَقْنِعَةٌ مِنْ صَدَأ

وِشاحُ التَّواضُعِ ظِلٌّ يُرافِقُني
وإنْ أشرقتْ شمسُ التكبرِ حمراءَ
تواضعُ قلبي كالندى يُطفئُها
بِتَغافُلِ مُرٍّ أوْ تَناسٍ حَزين
أَخْشَى النِّسْيانَ بَحْرًا بِلا قاعٍ
وَكَمْ مِنْ تَعَمُّدٍ دَفَنْتُهُ بُذُورُ نِسْيان
إذا ما اسْتَباحُوا حِياضَ الرُّوحِ
تَلَبَّسَني الغَباءُ قِناعُ اسْتِسْلام
جَهْلٌ كَثيفٌ يَلُفُّ مَدارِكي
وَ عِلْمٌ مُجَلْجِلٌ قَدْ يُعْمِي العُيُون
إذا لَمْ يُرافِقْهُ خُشُوعُ القَلْبِ
فَما قِيمَةُ النُّورِ في لَيْلِ الجُحُود؟

نَحْنُ مَزِيجٌ مِنْ هَذِهِ الأَضْدادِ
نُرْتَجِلُ حِكاياتٍ عَلى مَسْرَحِ الفَناءِ
نُخْطِئُ نَتَعَلَّمُ نُسامِحُ نَغْفِر
وَفي هَذا التِّيهِ نُحاوِلُ أَنْ نَكُونَ بَشَرًا

فهولةٌ مُرَّلة

دعوتُها إليها
"ربما" رَنَّتْ
كصدىً في بئرٍ عميق
كطعمِ وداعٍ على شرفةٍ مُطلَّة

لستُ أنا الظلُّ
الذي يُخبّئُهُ النهار
لستُ اللحنَ الضائعَ
في زحمةِ الأوتار
لستُ أنا الخيطَ
الذي يربطُ جناحَ فراشةٍ مُكسَّرة

هناك
حيثُ النجومُ أقربُ
حيثُ القمرُ مكتملُ
حيثُ الأغنياتُ لا تعرفُ الحزن
والقلوبُ لا تعرفُ الخذلان
حيثُ الأشياءُ أكثرُ لمعانًا

هناك
قلبٌ آخرُ يدقُّ
حلمٌ آخرُ يُحققُ
و "أنا" أقفُ
على حافةِ النسيان

فلتكن قهوتُها
لغيري
وليَكنْ لي وَحدي
مرارةُ الفهم

****

في محرابِ العلمِ

رؤيا مُقدَّسة
أرشدَني إليها خليلٌ مُؤتَمَن
باحثٌ
كطائرٍ أسطوريٍّ يحلِّقُ
يَستنطِقُ الغيبَ
في سرِّ الكَوْن

همسَ لي الواثق:
"قاسِمْهُ الكأسَ
ليفيضَ الإكسيرُ نورًا مُبينًا"
فأودعتُهُ سِرّي
براءةَ الحُلْم
ليرتفعَ البُنيانُ شامخًا
لا يَهُون

لكنْ
في عتمةِ ليلٍ غادر
والعينُ سَاهِدة

تسلَّلَ الغُولُ
بِوَجْهٍ عَابد

انتَزعَ الرؤيا
بمِخلبٍ مُسمَّم
وأطفأَ الشُّعلة
في قَلبِ المَعْلَم

أضحى الغُولُ فاتحًا
والخليلُ حطامًا
في لجَّةِ الغدرِ
والجُرحُ قِيامًا

رؤيا استُبيحَتْ
في كفٍّ خائنة
و"أنا" واجِمٌ
في المَقامِ الدَّائِن
أتلمَّسُ وَهْمًا
لصداقةٍ مُهْدَاة
وترنيمةً مَذبوحة
في حَضْرَةِ المَمات

ظِلُّ الذِّكْرَيَاتِ فِي قَدَمِ الْمَكَانِ

فِي شُرْفَةِ بَيْتٍ عَتِيقٍ
حَيْثُ الزَّمَنُ يَهْمِسُ أَسْرَارَهُ
أَجْلِسُ أَنَا بِقَدَمِ الْمَكَانِ رَاسِخًا
أُسَامِرُ فِنْجَانَ الشَّايِ الْمُرِّ

اَلْوَرْدُ عَلَى الطَّاوِلَةِ
يَرْقُصُ
يُغَازِلُ
وَهْمَ الْأَمَلِ الضَّائِعْ
وَالشَّمْسُ تُرْسِلُ خُيُوطَهَا
لِتُضِيءَ ظِلَالَ
الذِّكْرَيَاتُ مَا بَقِيَتْ
نُعَاوِدُ رَسْمَهَا بَيْنَ الْجُدْرَانِ

اَلْبَيْتُ الْقَدِيمُ
شَاهِدٌ
عَلَى أَيَّامٍ مَضَتْ كَالْأَحْلَامْ
وَالشُّرْفَةُ مَلَاذٌ أَخِيرٌ

لِرُوحٍ تُصَارِعُ الْأَيَّامَ

فِي فِنْجَانِ الشَّايِ حَكَايَا
وَفِي الْوَرْدِ أَسْرَارُ الْفَنَاءِ
أُبْحِرُ فِي عَالَمِي
أُعَانِقُ بَقَايَا الْأَمَانِي

لَا شَيْءَ يُعَكِّرُ صَفْوَ اللَّحْظَةِ
سِوَى صَمْتٌ يَمْلَأُ الْمَكَانَ
يُدَاعِبُ أَوْرَاقَ الشَّجَرِ الذَّابِلَةِ
وَيُرَاقِصُ أَزْهَارَ الْوَرْدِ الشَّاحِبَةِ

فِي هَذَا الْمَشْهَدِ الْحَزِينِ
تَتَجَلَّى مَرَارَةُ الْحَيَاةِ
بِبَسَاطَتِهَا وَجَمَالِهَا الزَّائِفِ
فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ وَرُكْنٍ خَفِيّْ

وَفِي الْبَقَاءِ أَرَى الْفَنَاءَ سِرًّا
نُورًا يُشِعُّ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُبْ
فَالْكَوْنُ مِرْآةٌ
الأحد 23 فبراير 2025

الهايكو

1

زَهْرُ اللَّيْمُونِ

هَبَّ نَسِيمُ الصَّبَاحِ

وَ رَقٌ يَتَدَلَّى

2

ثِمَارُ اللَّوْزِ تَتَفَتَّحُ

حُبٌّ يَنْمُو بَيْنَ القُلُوبِ

لِقَاءٌ يَزْهَرُ

3

هَمْسُ الأُمِّ دِفْءُ

فِي رَحِيلِ الرَّبِيعِ حُزْنُ

دَمْعَةُ شَوْقٍ لَهَا

4

مطرٌ يُذيبُ الحنينَ

في السماءِ وعودُ لقاءِ

أملٌ يبتسمُ

5

خَرِيفٌ يُسَاقِطُ أَوْرَاقَهْ

شَذَرَاتٌ مِنَ العُمْرِ تَضِيعْ
فِي رِيَاحِ النِّسْيَانْ
6
أَدَبٌ فِي التَّسْكُعِ
دَهَالِيزُ الكَلِمَاتِ تَتَشَابَك
تَأْوِيلٌ بِلا نِهَايَة
7
أنتِ لستِ امرأة
لحظة توقف الزمن
أبديةٌ كالريح.
8
هَذَه رُومَا تَنْبُضُ حُبًّا
صَيْفٌ وَالْوَقْتُ يَتَوَقَّفُ
تَارِيخٌ يَشْهَدُ لِقَاءَنَا
9
ثَلْجٌ فِي هُدُوءٍ
صَمْتُ الطَّبِيعَةِ يُصْغِي
قُوَّتُهَا تَجَلِّي
10
ضَاعَ الْفِكْرُ بِجَهْلِ
أَحْمَقُ يُغْرِيهِ الْكَلَامُ

الْحِكْمَةُ تَصْمُتْ

11

أرضٌ ومحراث

عطرُها قهوةٌ

كفٌّ فلاح .. وحضنْ

12

شِعرٌ مُتّهم

صداقةٌ تذوي غضباً

شتيمةٌ في الفضاء

13

شَكٌّ في الأصلْ

صَدَاقةٌ ذَابَتْ فَجْأة

غَضَبٌ في الوَرَقْ

****

حديقة الأسرار

كانت لنا حديقة
لا سُور لها
إلا الأذرعُ المتعانقة
الشمسُ ضحكتُها الدائمة
والماءُ
همسُ اليقينِ يجري
يروي زهورًا
بألوانِ الثقة

لكن
تسلّل ظلٌّ
رقيقٌ كخيطِ دخان
الأغصانُ تمدّدتْ
تبحثُ عن لمسةٍ غابتْ
الشوقُ
جمرةٌ تحت الرمادِ
توقظُ وحشةَ الليل

ونبتتْ أشواكٌ
حادةٌ
بين الورودِ الناعمة
الغيرةُ
لونٌ أخضرُ مريضٌ
يلطّخُ بياضَ الزهرة
وهمسٌ سامٌّ
يتسللُ مع الريح
هل أنتَ وحدكَ هناك؟
لمنْ تضحكُ الشمسُ الآن؟

ثمّ تصدّعتْ
أرضُ اليقينِ تحت أقدامِنا
الشكُّ
شبكةٌ عنكبوتيةٌ
تُنسجُ في زوايا الروح
هل كان الماءُ صافياً حقاً؟
أم مجردُ انعكاسٍ خادع؟
هل كان الظلُّ أماناً؟
أم ستراً لشيءٍ آخر؟
الثقةُ

زجاجةٌ رقيقةٌ
تشعّرتْ
سقطتْ
تهشّمتْ

وجاءتْ عاصفةُ الخيانةِ
لم تتركْ غصناً إلا وكسرتْهُ
لم تتركْ جذراً إلا واقتلعتْهُ
الجدارُ المنيعُ ركامٌ الآن
والنبعُ الصافي
بركةٌ آسنةٌ
بلونِ الدمعِ والوحل
كلُّ شيءٍ تناثرَ
تحتَ سماءٍ غاضبة

والآن لا شيءَ هنا
سوى الصمتِ الباردِ
كشتاءٍ لا ينتهي
الفتورُ ضبابٌ رماديٌّ كثيفٌ
يحجبُ الشمسَ ويجمّدُ الأنفاس
الزهورُ جثثٌ ورقيةٌ

داستْها أقدامُ اللامبالاة
الحديقةُ مقبرةٌ
لما كانَ حياً
يوماً ما

لا شوقٌ يحرقُ
لا غيرةٌ تلدغُ
لا حتى شكٌّ يؤرّقُ
فقط
فراغٌ شاسعٌ
وريحٌ
تصفِرُ في الخراب

الثلاثاء، 8 أبريل، 2025

****

خيوطٌ واهنة

كانت ضحكاتنا نهراً
واحداً
يروِي ذاتَ الحقولْ
كان الدفءُ خبزاً
نتقاسمُهُ
في ليالي الصقيع الطويلْ

ثم جاءتْ
طاحونةُ الأيامِ
تطحنُ الوقتَ
تُبدِّلُ الألحانْ
لكلٍّ وجهتُهُ
بوصلةٌ أخرى
تشيرُ لشاطئٍ
لا يراهُ الآخرُ الآنْ

أوتادٌ تُغرَسُ في أرضٍ جديدةٍ
تجذبُ الخطوَ

تُغَيِّرُ الألوانْ
والأماكنُ
صارت مجردَ أسماءٍ على خرائطَ باردةٍ
تُطيلُ المسافةَ
تُخْرِسُ الأجراسَ القديمةْ

الودُّ يخبو
كجمرةٍ أخيرةٍ
تحت رمادِ الانشغالْ
الكلماتُ تثقلُ
أو تغيبُ
يحلُّ محلَّها صمتٌ كثيفٌ
لزجٌ
يُعتِّمُ المرايا

هي الحياةُ
بمائها الجاري
يسحبُ معه القواربَ الراسيةْ
يبقى الأثرُ باهتاً
خيطٌ رفيعٌ يرتجفُ
كلما هبَّتْ رياحُ الغيابْ

تبقى الذكرى
صورةً معلّقةً
على جدارِ القلبِ المهجورْ

الثلاثاء، 8 أبريل، 2025م

****

رسالة متأخرة

تحيتكِ وصلتْ
في عتمةِ الليلِ الاخير
كنجمةٍ شاحبةٍ في سماءٍ نسيتْ نجومها

أين كنتِ
حين كان الصمتُ ينسجُ جداراً سميكاً
حين كانت الأسئلةُ تدورُ في رأسي
بلا صوتٍ منكِ يُجيبُ؟
والآن..
تأتينَ بخطىً خافتةٍ
تطرقينَ باباً
أوصدتْهُ الريحُ
والكثيرُ من الصمتِ

رسالتكِ الليلةَ
كطَرْقةٍ على بابٍ مهجورٍ
صدِئَ مفتاحُهُ في جيبي
ولم أعدْ أذكرُ مكانه.

لا تسأليني عن حديثٍ جديد
فالأحاديثُ القديمةُ
ذَبُلَتْ على أغصانِ الانتظار.

لقد اعتدتُ الغياب
وصنعتُ من الصمتِ سياجاً

فَدَعِي الليلَ يستقبلُ تحيتكِ
ودعي الصمتَ يعودُ
ليسكنَ المسافةَ التي اخترتِها
أولَ مرة.

صوتكِ العائدُ
حين جفّتْ ينابيعُ السؤالِ في روحي
وتعلمتُ كيف أُصغي لهمسِ الغيابِ
كيف أمشي وحيداً في دروبٍ
تركتِها أنتِ فجأةً... فارغة

صمتكِ المفاجئُ
نبتتْ فيها أشجارٌ جديدةٌ

لا تعرفينَ أسماءَها
ولا شكلَ ظلالِها.

لقد رسمتُ خرائطَ أخرى
لأيامٍ لا تحملُ لونَ حضورِكِ
بنيتُ أسواراً
ليسَ من حجرٍ
بل من أيامٍ مرّتْ دونكِ
واعتيادٍ هادئٍ على الأفقِ الخالي منكِ

والآن.. تأتينَ في منتصفِ ليلِ الذكريات
تظنينَ أن النهرَ ما زالَ يجري
في مجراهُ القديم؟
تظنينَ أن البابَ الذي أوصدتَهُ الريحُ القاسية
ينتظرُ لمسةَ مفتاحكِ الصدئ؟

لا يا صديقتي..
لا حديثَ يُقالُ الآن.
فقد تكلمَ الصمتُ كثيراً جداً
وأنا... أصغيتُ لهُ جيداً.
تعلمتُ لغتهُ الخافتة

وأتقنتُ أبجديتهُ الباردة.

فلا تطلبي مني الآنَ
أن أعودَ إلى لغةٍ
بهتتْ حروفُها
وضاعَ صداها
المسافةِ الشاسعةِ
صنعتها يداكِ

الإثنين، 14 أبريل، 2025م

****

سبعُ دوائر للغياب في ذكراها

سبعُ دوائرَ للغيابِ اكتملتْ
حولَ مركزِ حضورِكِ
نقشِ الماءِ الأبديِّ
على حجرِ الروحِ
اليومِ انطفأَ المصباحُ
لكنَّ الضوءَ لم يغادرِ البيتَ
بل صارَ يسكنُ الجدرانَ
يتسرّبُ من شقوقِ الصمتِ
يُعانقُ غبارَ الذاكرةِ

سبعُ سنواتٍ
لم تجفَّ نبتةُ وجودِكِ في داخلي
تمتدُّ جذورُها أعمقَ مع كلِّ فجرٍ
تتغذّى على تفاصيلَ صغيرةٍ
ملمسِ يدِكِ على كتفي
صدى ضحكةٍ تأتي من غرفةٍ بعيدةٍ
رائحةِ القهوةِ التي تُعدّينها

حضورُكِ
هو النبضُ الخفيُّ
تحتَ جلدِ الأيامِ الرتيبةِ
أراكِ في انعكاسِ المرآةِ
في حكمةِ الصبرِ
حينَ تضيقُ الدروبُ
في دفءِ الشمسِ
على نافذتي المغلقةِ

سبعُ طبقاتٍ من الزمنِ
تحتَها ما زالَ وجهُكِ ينيرُ
وما زالتْ ذكرياتُنا
جرحٍ طريٍّ
ووعدٍ باللقاءِ
مكانٍ لا يقيسُهُ الغيابُ
سبعُ سنواتٍ... وأنتِ هنا
أكثرَ من أيِّ وقتٍ مضى
منسوجةً في روحي
حقيقةً أشدَّ صلابةً
من الموتِ نفسِه
وتظلُ "عائشة"

حزن القلب

قلبٌ ينبضُ هادئاً
روحٌ تتّحدُ بروحٍ
فرحٌ دون حدود
لمسةٌ رقيقةٌ
ابتسامةٌ تُشعلُ القلب
الحبُّ يزهرُ الآن
شمسٌ دافئةٌ
تُذيبُ ثلوجَ الشتاء
قلبانِ يتّحدان
أنفاسٌ متشابكة
أحلامٌ تُحاكُ معاً
سعادةٌ
همسةٌ خفيفة
في أذنٍ تسمعُ
وعدٌ أبديٌّ
وردةٌ حمراءٌ
تنبعثُ منها عطرٌ
حبٌّ في الصباح

مطرٌ ناعمٌ
يغسلُ أحزانَ القلوب
عشق يُعيدُ الأمل
نجومٌ تتألق
تُضيءُ سماءَ ليلنا
حبٌّ أبديٌّ ساطع
نهرٌ يتدفق
يحملُ معهُ الخلاص
إلى البحرِ الواسع
طيورٌ تغرد
ترنيمةُ صافية
ألحانٌ في الروح.

****

فِنْجَانُ قَهْوَتِي

هَذَا الصَّبَاحْ
بَارِدُ الْمَلْمَسِ كَغِيَابٍ مُفَاجِئْ
لَمْ يَرْسُمْ خُطْوَةً
تَدُلُّنِي عَلَى طَرِيقِ النِّسْيَانْ
لَمْ يَضَعْ تَعَرُّجًا
يُشِيرُ إِلَى مَكَانِ اللِّقَاءِ الْقَادِمْ
لَمْ يُظْهِرْ مُسْتَقْبَلًا
مُلَوَّنًا بِوُجُوهِ الْعَائِدِينْ
وَلَمْ يَكْشِفْ مَاضِيًا
يُضِيءُ عَتَمَةَ الْحَنِينْ
حَتَّى رَائِحَةُ الْقَهْوَةِ شَاحِبَةٌ كَذِكْرَى بَعِيدَةٍ
تَتَسَرَّبُ مِنْ بَيْنِ الْأَصَابِعْ
لَا أَحَدٌ بِجَانِبِي
وَالْفَرَاغُ الْمُتَّسِعُ حَوْلِي
يُشْبِهُ اتِّسَاعَ الْبَحْرِ عِنْدَ الْمَغِيبْ
لَا أَصْحَابَ
يُقَاسِمُونَ الْحَدِيثَ وَالصَّمْتَ
لَا أَحْبَابَ

يَرْتُبُونَ فَوَّضَى الرُّوحِ بِهَمْسَةْ
نَعَمْ، هِيَ بَعِيدَةٌ عَنِّي
وَبِدُونِهَا
تُصْبِحُ الْأَيَّامُ صَفَحَاتٍ بَيْضَاءَ مُتَشَابِهَةْ
لَا تَحْمِلُ أَثَرَ قَلَمْ
لَا مَاضٍ
يُنْقَشُ فِي الذَّاكِرَةِ بِخُطُوطٍ وَاضِحَةْ
لَا مُسْتَقْبَلَ
يَتَشَكَّلُ فِي الْخَيَالِ بِأَلْوَانِ الْأَمَلْ
هِيَ بَعِيدَةٌ عَنِّي الْيَوْمَ
وَقَلْبِي وَحِيدٌ
يَحْتَسِي وَحْدَتَهُ
مِنْ فِنْجَانِ الصَّبَاحِ الْبَارِدْ.

****

آهٍ يا طرابلس..

يا وجعي الممتدَّ على شاطئ الحزن
مدينةٌ تلبسُ السوادَ قسراً
وشوارعُها تبكي دماً ورماداً
أطفالُكِ
أزهارٌ ذَبلت قبل الأوان
عيونُهم نوافذُ مفتوحةٌ على الفزع
وأحلامُهم شظايا زجاجٍ مكسور.
البيوتُ...
قبوراً مفتوحةً
تحتضنُ الخوفَ
تئنُ من وجع الفقد
الجدرانُ تحملُ
ندوبَ القذائفِ
وشهقاتِ الأمهات
ضحكاتُ الصباح؟
أغاني الصيادين العائدين مع الفجر
رائحةُ الياسمينِ في أزقَّتِكِ القديمة
ابتلعها دخانُ البارودِ

وصمتُ الموتِ الرهيب.
طرابلسُ... يا جرحاً لا يندمل
يا صرخةً مكبوتةً في حنجرةِ الزمن
الليالي طويلةٌ، باردةٌ موحشة
والقمرُ يختبئُ خجلاً من هولِ ما يرى.
نبحثُ عن بقايا أملٍ
في ركامِ الأنقاض
عن خيطِ ضوءٍ
النفقِ مظلم
الحربَ وحشٌ لا يشبع
يقتاتُ على أرواحِنا وأحلامِنا
يا مدينتي الصابرة
حتى الصبرُ ملَّ من صبرِك
والبحرُ الذي كان يغسلُ همومَكِ
صار شاهداً على مأساتِكِ
كلُّ زاويةٍ فيكِ تروي قصةَ ألم
كلُّ حجرٍ ينطقُ بلغةِ الفقدان
ونحنُ هنا
أرواحٌ معلَّقةٌ بين سماءٍ باكية
وأرضٍ تنزفُ بلا توقف.

هل حان موعد الرحيل؟

أيها الوطن المثقلُ
بالغبارِ واليأسِ
باليدِ التي تمتدُّ
لتسرقَ ضوءَ الشمسِ
يا من تحكمه قبضاتٌ أخرى
ميليشياتٌ
أسماءٌ تتغيرُ
والوجهُ واحدٌ
وجهُ الجشعِ
الفسادُ يرتعُ
كالطاعونِ
في كلِّ زاويةٍ
من القصرِ العاجيِّ
حتى الكوخِ المهترئِ
نرفعُ أصابعَ اللومِ
نحو الكبارِ
ونحو الصغارِ
في كلِّ مكتبٍ

في كلِّ شارعٍ
إنهم همُ السرّاقْ
نعم، كلهمُ / كُلنا السرّاقْ
لا شيءَ يعملُ هنا
العجلاتُ صدئةٌ
الآلاتُ معطلةٌ
الأحلامُ مؤجلةٌ
الحياةُ متوقفةٌ
عندَ بوابةِ السرقات
ألتفتُ نحو نفسي
أشكُّ في نبضي
أشكُّ أني بخيرٍ حقًا
فأنا أيضًا لا أعملُ
مثلهم... مثلهم
أترايَ صرتُ سارقا
بطريقةٍ أخرى؟
بجلوسيَ هذا؟
بصمتي هذا؟
يا ربَّ هذا الوطنِ
يا ربَّ هذهِ الأرضِ
الواسعةِ حدَّ السماءِ

لقد ضاقتْ
ضاقتْ عليّنا
ضاقتْ حدَّ الاختناقِ
لا كرامةَ هنا
إلا لمن تمتدُّ يدهُ
لِما ليسَ له.
لا كرامةَ إلا للسرّاقْ.
والقلبُ الذي يأبى
أن يشاركَهُم هوايتَهُم
يصبحُ غريبًا
مغتربًا في أرضِه
ليسَ لديَّ رغبةٌ
في هذهِ الهوايةِ السوداءِ
ليسَ لديَّ يدٌ
لتمتدَّ نحو الحرامِ
لقد حسمتُ أمري
أنا مغادرٌ
تاركًا خلفي
هذهِ الأرضَ الموبوءةَ
بالفسادِ
وباليدِ التي لا تتعبُ

من السرقةِ
تاركًا السرّاقَ
لممارسةِ هوايتِهم
بكلِّ راحةٍ
على أشلاءِ الوطنِ
الذي لم يعدْ وطني
هل حانَ موعدُ الرحيلِ؟
نعم
لقد حانَ

****

كَعْكٌ وَدُعَاءٌ

بلد الطيوب 4 فبراير, 2025

فِي صَمْتِ الرُّوحِ أَلَاقِي طَيْفَ أُمِّي
حَنِينٌ يَلُفُّنِي كَوِشَاحٍ دَافِئِ
الْكَعْكُ الشَّهِيُّ

الْأَرْضُ الَّتِي أَنْبَتَتْنِي
جُذُورِي الضَّارِبَةُ هُنَاك
فِي أَعْمَاقِ الْقُدْسِ
أَحِنُّ إِلَى بَيْتِنَا الْقَدِيمِ
حَيْثُ يَشْمَخُ الْجَبَلُ
يُسَامِرُ شَجَرَ الزَّيْتُونِ

طُفُولَتِي الْبَرِيئَةِ
حَيْثُ الْأَيَّامُ تَرَاتِيلُ فَرَحٍ
وَاللَّيَالِي قِصَصًا مِنْ نُورٍ
أُسَافِرُ فِي مَتَاهَاتِ الذَّاكِرَةِ
بَاحِثًا عَنْكَ يَا اللّٰهُ

الاشْتِيَاقُ لِصَلَاةٍ تَرْفَعُنِي
إِلَى سَمَاءِ الْأَقْصَى
حَيْثُ تَعْلُو الْأَصْوَاتُ بِالدُّعَاءِ
هُنَاكَ نُصَلِّي سَوِيَّةً
حَيْثُ نَسْمَعُ صَلَاةَ الْعَذْرَاءِ
نَقْرَأُ سُورَةَ مَرْيَمَ
نُرَدِّدُ صَدَى الْأَمَلِ
بِالْعَوْدَةِ وَالْحُرِّيَّةِ

هُوَ شَوْقٌ لَكِ يَا أُمِّي
لَا مَكَانَ وَلَا زَمَانَ فِيهِ
شَوْقٌ يُغَنِّيهِ الْقَلْبُ تَرَاتِيلَ حَنِينٍ
تَطِيرُ بِهَا الرِّيَاحُ وَتَحْكِيهَا النُّجُومُ
وَتُغَنِّيهَا الْأَرْضُ
شَوْقُ الْعَوْدَةِ لِرَحْمِ الْأَرْضِ

****

فِي مَمْلَكَةِ اللاَّمَعْنَى

بلد الطيوب 23 مايو, 2025م

ترىَ الأبوابَ تُغلقُ علىَ الطرقاتِ
المؤديةِ إلىَ لا شيءَ
تسمعَ الجدرانُ أنينَ الصدىَ
المكبوتِ في الحناجرِ
تُجيبَ الرياحُ علىَ أسئلةٍ
لم تجدْ آذاناً لتسمعَها
الفضاءَ شاسعاً
تتوهَ فيهِ كلُّ خطوةٍ
الخيوطَ الرفيعةَ التي تصلُ بينَ القلوبِ
تتقطعُ علىَ مهلٍ
اليدِ التي امتدتْ تطلبُ سنداً
تجدْ الهواءَ دليلاً إلىَ
فراغاتٍ لا تُبقيَ علىَ وعدٍ
وأصقاعٍ ربتْ علىَ أطرافِها خيبةٌ طويلةٌ
الأعينَ تحدّقُ في سرابٍ لامعٍ
حريةٍ مُوهومةٍ تسربَ من وهمٍ بعيدٍ

تحدّقُ في بريقِ اللحظةِ
التي كانَ يمكنُ أن تكونَ
ثمّ تُخفيهِ في سوادِ الليلِ
لتُعلنَ هزيمةَ الأفقِ الذي طالما وعدَ بالضوءِ

الأفقَ يتوارىَ خلفَ غبارِ التيهِ المتراكمِ
تسمعَ الجسورُ ترابَ الأقدامِ
ترددتْ طويلاً قبلَ أن تطأهاَ
تُجيبَ الأصداءُ
علىَ صرخاتٍ لم يُسمعْ لهاَ صوتٌ

الفجرَ مُؤجلاً إلىَ أمدٍ لا يُعرفُ
يجعلُ القوانينَ تتبخرُ في الهواءِ علىَ مهلٍ
وتتبعُ أثرَ الكلمةِ الأولى
التي بُحَّ بهاَ الصوتُ
تطلُبُ نصيراً
لا تجدْ سوىَ الصمتَ
دليلاً إلىَ محاكمَ لا تُبقيَ علىَ عدلٍ
وميادينٍ تربّت على أطرافِها خيبةٌ لا تنتهيَ

الأعينَ تلاحقُ ظلّاً خافتاً

لحقٍّ تلاشىَ من وريقاتِ زمنٍ ولّىَ
تلاحقُ إشارةً للنجاةِ لم تظهرْ قطُّ
ثمّ تُغمضُهاَ علىَ الظلامِ فقط
لتُهديَ للفراغِ سطوةَ الوجودِ الذي لا يُغفر

الحدودَ تتمددُ حتىَ تُلامسَ اللا معنىَ
الألوانَ تختلطُ حتىَ
كلُّ شيءٍ بلونٍ واحدٍ باهتٍ
وتتبعُ أثرَ الحلمِ الذي رُسمَ علىَ الماءِ
ولم تُبقيَ لهُ موجةٌ أثراً
ومساحاتٍ تربّت علىَ أطرافِها ذاكرةٌ هشّةٌ

الأيدي تبنيَ بيوتاً من رملٍ
علىَ شاطئٍ وهميٍّ
تبنيَ أملاً كاذباً بوجهِ العاصفةِ الآتيةِ
ثمّ يذريهِ في مهبِّ الريحِ فقط
لتُثبتَ للوجودِ عجزَ الغايةِ التي لا تُغفر

الأحد 18 مايو 2025م
طرابلس الغرب

****

وشماً على الماء

بلد الطيوب 19 مايو, 2025م

وشماً على الماء
سأرسم غدي
سأغني
سأرقص
لعلّي
على ندى فجرٍ عابرٍ
على وترِ قيثارةٍ مهجورةٍ
في ضحكةِ طفلٍ لم يعرفِ اليُتمَ بعد
في صلاةِ عجوزٍ تناجي القمر
لعلّي

يحلمُ السجينُ بنجمةٍ هاربةٍ من ثقبِ الزنزانة
والغصنُ اليابسُ بقطرةِ مطر
يحلمُ النّايُ بأنفاسِ راعٍ حنون
وأحلمُ أنا بوطنٍ
لا يُشرّدُ عصافيرَهُ

بقصيدةٍ تُضَمِّدُ جراحَ العالم

في رحلة الروحِ الحائرة
عصفت بي رياحُ الفقد
وأخرسَ حنجرتي الغياب
وطني غربتك
الأرضُ قفصٌ صغير
والحنينُ بحرٌ بلا شطآن
يا سندبادَ الحكاياتِ القديمة
من قتلَ شهرزادَ الأملِ فينا
وترك ألفَ ليلةٍ وليلةٍ بلا حكايا
من يزرعُ الياسمينَ
فوق ركامِ الخراب!
أغنيةً بلونِ السماءِ الصافية
من يوقظُ النيامَ
في مقبرةِ الزمان
من يكسرُ قيودَ الصمتِ
من يزيحُ الكابوسَ
المُخيّمَ فوق أحلامِنا؟
الخميس 15 مايو 2025
طرابلس الغرب

العرض الأول

بلد الطيوب 27 يونيو, 20250م

الليلُ شاشة سينما واسعة
والخليجُ يجلس في مقاعد كبار الشخصيات.
بأيديهم هواتفٌ لامعة
وفي الأخرى أكواب شاي بالنعناع.
لا حاجة للفشار
فالألعاب النارية الليلة حقيقية.

"انظر يا ولد!"
يقول الأب لابنه على الشرفة
"تلك ليست شهباً...
تلك أحلامٌ ناريةٌ مسافرة."
نجومٌ بذيلٍ من غضب
تُطلق صافرة البداية في سكون الصحراء
وتترك خلفها تصفيقاً خافتاً...
وتغريداتٍ على تويتر.

في العراق
يُرفع الرأسُ إلى الأعلى.
طنينٌ مألوفٌ في السماء
كبعوضةٍ إلكترونيةٍ عملاقة.
يقول بائع الكباب وهو يمسح سيخه:
"مرّت واحدة...
وهذه الثانية...
نتمنى لهم رحلة موفقة."
فالسماءُ فوقهم مجرد ممر جوي
صالة ترانزيت للموت الطائر.

في الأردن
تتحول السماء إلى لعبة فيديو.
ومضاتٌ اعتراضية
أصواتٌ بعيدة للانفجار.
يصرخ شابٌ من سطح منزله:
"أصبناها! نقطة لنا!"
بينما جاره يجمع شظية صغيرة لامعة
"تذكارٌ جيد من عرض الليلة."

لبنان يراقب بصمتٍ متمرّس

فقد شاهد ما يكفي من هذه المسرحيات
يعرف كل فصولها
ويحفظ حواراتها عن ظهر قلب.
إلا ساهرٌ على شرفةٍ في بيروت
يرفع كأسه للنجوم المسافرة
على أنغام موسيقى لا يقطعها إلا أزيزها العابر.
ثم تنهيدةٌ طويلة...
وقلبُ فنجان القهوة لمعرفة بقية الطالع.

أما هناك... في نهاية الرحلة
تتوقف الكوميديا.
تتحول النجوم اللامعة إلى مطرٍ من حديد.
والصفارات ليست موسيقى تصويرية
بل هي الصراخ قبل الصراخ.
المشاهدون هناك لا يحملون هواتف
بل يركضون نحو الملاجئ.

العرض ينتهي
في الخليج يبدأ تحليل ما بعد المباراة.
في العراق والأردن يعودون لمسلسلاتهم.
وفي إسرائيل... يبدأون بحساب الخسائر.

مسرحيةٌ من فصل واحد

تذاكرها مجانية

يشاهدها الجميع

لكن قلةٌ فقط... تدفع الثمن عند إسدال الستار.

****

ترنيمة الحياة

بلد الطيوب 1 يوليو, 2025م

نباتاتٌ تصمد
بالماءِ تُسقى كل يوم
تنمو من جديد.

صمتُ الأرضِ يكسو
صغيرٌ يقاومُ الريحَ
ماءٌ يحيي الجذور.

شمسٌ تدنو رفقًا
تلمسُ الأوراقَ الخضرَ
أملٌ في كل غصن.

قطراتٌ تنزل
تروي أرضاً عطشى دومًا
حياةٌ تتفتح.

برعمٌ تفتّح
ألوانٌ زاهيةٌ نُثِرتْ
عطرٌ يملأ الأجواء.

نحلٌ جاء يطوف
يرقصُ حولَ الزهرِ حبًا
لحنٌ للحياة.

ثمرٌ يتدلّى
غنّى الوجودَ لحنَ الخصبِ
خيرٌ فاضَ بالكون.

بذورٌ تسقطُ
أرضٌ تهمُّ بالوعدِ
دورةٌ تستمرّ.

****

حديقة الجسد

بلد الطيوب 4 يوليو, 2025م

في البدء، لم تكن هناك حدود. كانت الحديقة هي آدم، وآدم هو حواء، وحواء هي غصن الياسمين الذي يتسلق جذع شجرة الحياة. كانا جسداً واحداً في عالم واحد، يتحركان بتناغم مع المد والجزر الصامت للوجود. عاريين كالحقيقة، لكنهما لم يعرفا العري، لأنه لم تكن هناك عين تراه سوى عين البراءة، وهي لا تُميّز.

كان الصوت الذي ينساب مع النسيم هو القانون الوحيد: "كُلا من كل شيء، إلا من ثمار المعرفة". لكن أين كانت تلك الشجرة؟ كان آدم يظنها شجرة خفية في أقصى الحديقة، محروسة بضوء غامض. لم يكن يعلم أنها كانت تمشي بجانبه طوال الوقت.

ذات ظهيرة، عندما كانت الشمس معلقة في كبد السماء كنجمة ذهبية، توقفت حواء لتشرب من نبع ماء صافٍ. انحنت، فسقط شعرها الطويل ليلامس صفحة الماء، بينما التمعت قطرات الماء على ظهرها كحبات لؤلؤ. نظر آدم، لكنه للمرة الأولى لم يرَ. بل أبصر.

كان يرى جسدها كل يوم، لكنه اليوم رآه كحديقة سرية لم يكتشفها من قبل. عيناه، اللتان طالما مسحتا المشهد كاملاً، تعلمتا فجأة فن التركيز. استقرتا على صدرها. لم تكونا مجرد جزء من جسدها، بل كانتا ثمرتين معلقتين في فجر الوجود. تلّتان ناعمتان كالكثبان الرملية تحت ضوء القمر، مكتنزتان بوعد لم يفهمه بعد، لكنه شعر به يتردد في أعماقه كأغنية قديمة.

كانتا هما الثمرتين المحرمتين. لم تكونا على غصن شجرة، بل كانتا هما الشجرة والغصن والثمرة معاً. شجرة المعرفة التي لم تكن مصنوعة من خشب، بل من لحم ودم.

تجمد آدم في مكانه. توقف النهر عن الجريان في أذنيه، وصمتت الطيور في صدره. لقد فهم الآن. النهي لم يكن عن مكان، بل عن نظرة. لم يكن عن فعل، بل عن وعي.

تقدم نحوها بخطى موزونة، كأنه يخشى أن يوقظ حلماً. لم تكن هناك كلمات، فاللغة التي يعرفانها كانت بريئة جدًا لوصف ما يحدث. وقفت حواء ونظرت إليه، ورأت في عينيه انعكاساً لنفسها لم تره من قبل. رأت الجوع، والدهشة، والسؤال.

مدّ يده المرتجفة. لم يقضم، بل لمس.

كانت لمسته هي القَضمة. لمسة واحدة، خفيفة كجناح فراشة، لكنها كانت كافية لتهتز لها أركان الجنة. في تلك اللحظة، تدفق نهر من معرفة غامضة بينهما. وعي بالذات، وعي بالآخر، وعي بالمسافة التي تفصل بينهما، والرغبة المزلزلة في عبور تلك المسافة.

شعر بالخجل لأول مرة، كستار يسقط فجأة. ونظرت هي إلى نفسها، ثم إليه، وغطت حديقة جسدها بيديها. لم يكن خوفاً من الله، بل خوفاً من بعضهما البعض، من هذه القوة الجديدة التي استيقظت بينهما.

لم يحتجا إلى من يطردهما. لقد طردا نفسيهما.

لم يعد بإمكانهما المشي في الحديقة دون أن يريا في كل زهرة وعداً، وفي كل ثمرة رمزاً. لم يعودا قادرين على النوم جنباً إلى جنب ببراءة، لأن الصمت بينهما الآن كان مليئاً بالكلمات التي لم تُنطق. أصبحت البراءة وطناً لا يمكن العودة إليه.

أمسك بيدها، ومشى بها نحو الأفق المفتوح خارج أسوار الجنة. كانا يرتجفان، لا من البرد، بل من ثقل حريتهما الجديدة. لقد تركا وراءهما

"الآن" الأبدي، ودخلا إلى عالم الزمن والألم والعمل. لكنهما حملا معهما سر الحديقة الأولى، حديقة الجسد، البذرة التي ستنمو منها كل قصص الحب والميلاد والموت.

لم يسقطا من الجنة. بل نَبَتا منها.

****

بلد الطيوب 16 أكتوبر, 2025019

ها هي كلماتي للريح

من يشتريها بنظرةِ إشفاق؟

حبيبتي

تخشى وقعَ الحروفِ على قلبها

ترتجفُ من صدى آهاتي بين السطور

تظنُّ أنَّ كلَّ قصيدةٍ نزفٌ جديد

يا من تلتقطون شظايا روحي

لا تخبروها

أبقوا هذا السرَّ الصغيرَ بيننا

همسًا خافتًا لا يصلُ مسامعها

لا أريدُ دمعةً على وجهِها

دمعتُها نارٌ تكويني

سيفٌ يمزقني أعمق من أي جرح

خذوا كلماتي ونبضي

هي لكم بلا ثمن

المهم

أن تبقى ابتسامتُها قمرًا ينيرُ عتمتي
وأن تظلَّ تظنُّ
أنَّ ما أكتبُ
هو مجردُ حبرٍ على ورق
لا دمٌ يسيلُ من وريدِ القلب
فقط لا تخبروها
أنَّ بيعَ القصائدِ هذا
هو ثمنُ الحفاظِ على ضحكتها
ثمنُ ألا ترى انكساري
دعوها تحسبني قويًا
دعوها تخشى أشعاري
بينما أنا أبيعُها
كي لا تبكي هي

****

أُحبُّكَ

قالتْ
مرارًا وتكرارًا
"أُحبُّكَ"
بروحٍ مُثقلةٍ بالتساؤلِ
أجبتُها: "أتستطيعينَ ذلك؟
فالحبُّ، يا من تدّعينَ الودَّ
شأنٌ عظيمٌ
وأمرٌ ثقيلٌ
وضياعٌ قد لا يكونُ منهُ عودةٌ.
فهلْ حقًّا تقدرينَ على هذا العبءِ؟"

قالتْ، مرارًا: "أُحبُّكَ"
وسألتُها، وقلبي يرتعشُ خشيةً:
"وهل تتحملينَ اضطرابيَ العاصفَ؟
وتوتُّريَ المُقيمَ؟
وانغماسيَ في صمتيَ؟
وهروبيَ ثمَّ قدوميَ المُباغتَ
وغيابيَ الطويلَ الذي لا تُدركينَ أبعادهُ؟"

قالتْ، مرارًا: "أُحبُّكَ!"
ولكي تُثبتَ لِيَ الصدقَ
عرضتْ عليَّ المالَ
وهمستْ والبريقُ في عينيها: "أُحبُّكَ!"
قبضتُ المالَ
لكنها هيَ
رَسَبَتْ في امتحانِ الحبِّ رسوبًا مُرًّا.
فالحبُّ يا حبيبتي
ليسَ سلعةً تُباعُ أو تُشترى.
ومن ادّعى حُبّي
يجبُ ألّا يشتريهِ.
بادلت حب بحب
كالحبِّ الذي تعرفينَهُ
فكانَ حبًّا بحبٍّ
وصفقةً ظاهِرها الرِّبحُ.

عذرًا أيها الحبُّ المقدَّسُ
فقد تجنَّيْنا عليكَ كثيرًا.
فليسَ كلُّ حبٍّ بالكلماتِ وحدها
وأنا أعيشُهُ بغيرِ الكلماتِ.

****

الفهرس

تم الكتاب بحمد لله

لِمَاذَا هو غَبْي

خواطر

توفيق عياد الشفروني

